مركزية فلسطين عند عز الدين القسام وعبدالله عزّام

محمد حجازي *

اعتبر بعض الإسلاميين أن إسرائيل مشكلة فرعية نتجت عن مشكلة أصلية، تمثلت في سقوط الخلافة. وأنه مع تطبيق الشريعة وقيام حكم الله تكون فلسطين وجدت الحل المناسب، وقد غفل أصحاب هذا الرأي، عن فهم الأبعاد الكاملة لوجود إسرائيل، التي هي تجسيد للمشروع الغربي الاستعماري، الذي يسعى لتدمير مقومات الأمة، وتجزئة الأرض، وبث الفتن والخلافات، حرصاً على إطالة عمر الغدة السرطانية المزروعة في قلب الوطن العربي.

إن القضية الفلسطينية بقيت محط أنظار المسلمين، على اختلاف توجهاتهم، فيما بقيت المحاولات الجادة للقيام بالواجب عاطفية أكثر مما ينبغي. لذا كان ضرورياً أن تعاد بوصلة الأمة إلى فلسطين، وتحويل الجهود إلى ميدان المعركة الحقيقية، بدلاً من ميادين وهمية وصراعات تستنفذ الجهد والطاقة.

من سوريا الشمالية إلى جنوبها في فلسطين، كانت رحلة الباحث عن واجب الجهاد والباعث في الأمة روح الفريضة الغائبة. الشيخ عز الدين القسام، القادم من جبلة، يرتدي عمامته الأزهرية ويتكأ على بندقيته التي قاوم بها الاستعمار الفرنسي، حتى صدر بحقه حكم الإعدام، ليحط رحاله في فلسطين ويصعد منبر الاستقلال في حيفا، ويخوض معركة الجهاد في أحراش يعبد حتى قضى نحبه شهيداً.

أدرك القسّام مبكراً، أن الصهيونية هي طليعة الاستعمار الغربي، وفلسطين مركز الصراع وساحة المواجهة. آمن بالمقاومة، ورفض المفاوضات والحلول الوسط، وحذّر من تأجيل القضية؛ لأن الانتظار يعني تمكن اليهود في فلسطين. في الوقت الذي كانت فيه بعض الزعامات تسعى لمفاوضات سلمية مع بريطانيا.

عرف القسام أبعاد المشروع الغربي وخطره على الأمة الإسلامية، حين كانت مصر خاضعة للاحتلال البريطاني بعد ثورة عرابي، وحين دخلت القوات الإيطالية إلى ليبيا عام 1911، قاد القسام تظاهرة دعا فيها إلى التطوع لقتال الطليان، إلا أن السلطات التركية منعته ورفاقه المتطوعين من السفر إلى ليبيا. وعندما احتلت القوات الفرنسية سورية عام 1920، رفع القسام راية المقاومة، وكان في طليعة الثوار الذين حملوا السلاح.

اعتمد القسام على قاعدة «الجماهير أداة التغيير»، فبدأ من مسجد الاستقلال في مدينة حيفا يزرع الوعي والثورة، وينمي ثقافة التحدي والمواجهة. ويتحرك بين الناس كمأذون شرعي وإمام مسجد، ويستثمر ذلك في خدمة قضيته. لم يكتف بالتنظير، بل كان يشكل الخلايا السرية، ويختار جنوده من الفقراء والبسطاء، الذين يبيعون حُلي زوجاتهم، من أجل توفير قطعة سلاح. كما عمل على تأسيس جمعية الشبان المسلمين لتربية الشباب وإنقاذهم من الانحراف والضياع.

استصدر القسام فتوى من قاضي دمشق الشرعي بدر الدين التاجي الحسيني، تحلل القتال ضد الإنجليز واليهود لمنع إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وكانت له اتصالات سياسية مع الملك فيصل في سوريا وأمين الحسيني مفتي فلسطين وراشد الخزاعي من شرق الأردن، وكان يحرضهم على الجهاد ضد العدو البريطاني والصهيوني.

كانت أهداف الجهاد في أرض فلسطين التي سعى إليها الشيخ القسام، والتي رفض تأجيلها أو التغافل عنها، تتمثل في طرد الانتداب البريطاني، وإسقاط مخطط الوطن القومي لليهود، وإقامة الحكم الإسلامي.

وكان جهاده البداية الحقيقية للثورة ضد اليهود، حيث قام المجاهدون بعمليات جهادية عدة ما بين عام 1931 – 1935، على مستعمرات صهيونية عدة. وقد وصفه أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، بالقول: «ولم يكن يدور في خلدي أو في خلد غيري، حتى من أصدقائه المقربين، أن هذا الشيخَ المعممَ إمامَ الجامع كان يهيئ نفسه لقيادة ثورة مسلحة ضد السلطات البريطانية مباشرة».

وبعد معركة مع القوات البريطانية، قادها الشيخ القسام مع عدد من رفاقه في أحراش يعبد قرب جنين في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1935، فاستشهد بعدما جسد مقولته الشهيرة «إنه لجهاد نصر أو استشهاد»، وكان لاستشهاده الأثر الأكبر في اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى. وما يزال الفلسطينيون يذكرون القسام بعد عقود على رحيله، واسمه ما يزال يواصل المعركة ضد العدو الصهيوني، بكتائبه التي تكبر يوماً بعد يوم، ورجاله الذين يؤمنون بفكرته في استمرار جذوة الجهاد وعدم استقرار هذا المحتل على أرضنا.

أما الاتجاه الآخر، والذي يرى بإقامة الدولة الإسلامية أولاً، ثم تحرير الأراضي المحتلة ومنها فلسطين، فكان أبرزهم الشيخ الفلسطيني الأصل عبدالله عزام، الذي يوصف بأنه رائد «الجهاد الأفغاني» والمنظر الأول لـ«الجهاد العالمي»، من أعلام «الإخوان المسلمين» وتتلمذ على كتابات سيد قطب. كان له دور كبير في ثمانينيات القرن الماضي لإحياء «الجهاد» في أفغانستان، وشكّل

> **بقيت فلسطين خارج حسابات المجاهدين وبعيدة عن عيونهم**

حلقة الوصل بين الأفغان والمؤيدين لهم في البلدان العربية، وأسس مكتب الخدمات عام 1984، لرعاية «المجاهدين». وتتلمذ على يده مؤسس تنظيم «القاعدة» الشيخ أسامة بن لادن.

الشيخ عبد الله يوسف عزام، ولد عام 1941 في جنين المحتلة ـ المدينة التي شهدت استشهاد الشيخ القسام. وبعدما تخرج من كلية الشريعة في دمشق، شارك في مقاومة الاحتلال لفترة وجيزة، ونال الشهادات العليا من الأزهر، ثم غادر فلسطين وذهب للجهاد في كابول. وحتى تكتمل المفارقة، فقد استشهد الشيخ عزام في 24 تشرين الثني/ نوفمبر عام 1989، إثر تفجير سيارته وكان معه اثنين من أبنائه، في التاريخ نفسه الذي استشهد فيه الشيخ القسام. وفي سياق الحديث عن استشهاده، لم يعرف هوية القتلة، إلا أن الأدلة تشير إلى أنها مؤامرة اشترك فيها عدد من الأفغان العرب!

تسع سنوات خاضها الشيخ عزام في أفغانستان عقب الغزو السوفياتي، من دون أي مبرر مقنع، حيث وجد هناك على بعد آلاف الكيلومترات، «أرضاً لشوقه وحبه الجارف للحرب على طريق الله»، كما حشد آلاف المتطوعين العرب ومن بينهم الفلسطينيون، لإرسالهم إلى ساحة المعركة هناك. وأصدر الشيخ عزام فتوى تؤكد أن الجهاد في أفغانستان فرض عين، وحصل على توقيع عدد من كبار العلماء، أبرزهم ابن باز وابن عثيمين والقرضاوي. وأتبع بفتوى أخرى عنوانها «الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان». في المقابل لم نجد أي فتوى تدعو إلى الجهاد في فلسطين، ولم يتحرك الشيخ عزام لمساندة «الإسلاميين»، الذين تحقق وجودهم في عام 1988 كما يقول. إضافة إلى أنه اعتبر البداية الواجبة للجهاد هي أفغانستان، برغم أنها لم تكن حاضرة في مشروع الإسلاميين آنذاك، وساوى في الأهمية بين قضية فلسطين وقضايا أفغانستان والفيليبين وكشمير وغيرها.

أما عن الأسباب التي طرحها الشيخ عزام لتأجيل الجهاد في فلسطين، فإنه كان يرى، أن الذين يقودون المعركة هناك ليسوا من الإسلاميين، برغم أن قضية فلسطين ليست إسلامية فحسب، بل هي إنسانية، يشارك في

ادرك القسام باكرا ان الصهيونية هي طليعة الاستعمار الغربي (الاناضول)

فقه التوحّش: من دماء السالمي إلى العمراني مروراً بأبي

محمد فارس جرادات *

لم تكن دموية الشهر الماضي عربياً ككل شهورنا المطليّة بلون دمنا ورائحة رصاصنا وبريق نصالنا، كان يُفترض بتشرين الثاني أن يظل شهراً نستذكر عبره نفحات مولانا عز الدين القسام الذي قضى شهيداً برصاص الغدر الإنكليزي/ الصهيوني قبل 86 عاماً، فإذا بفقه التوحّش ينسينا القسّام ورصاصه الطاهر في يعبد، ويحوّله إلى مأتم مفجع حينما أوغل مع ذكراه بدم ثلاثة من أهل العلم والرأي، أحدهم ربما قضى، يا للحسرة، في ظل حراب تحمل مسمّاه.

فقه الذبح على خلفية الاختلاف في الرأي، فقه تمتد جذوره في عمق تراثنا، ويتم استحضارها وفق متطلبات الصراعات السياسية الآثمة، وفتاوى الفقه الشاذة جاهزة لتطغى على أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وزيد وجعفر والليث وكل مذاهب الأمة الفقهية والعقدية، فقد أصبح لفقه التوحش دول وكيانات بمسميات تتصارع على استقطاب جمهور ساذج لا يملك أخذ دينه من كلام الله المحكم الذي لم يفرّط بشيء، ولا من سيرة النبوة التي خلّدت للبشرية نموذجاً للتسامح والشرف الإنساني لم يكن له نظير.

عندما يخضع العقل المتديّن لسدنة الكهان (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) وتستقر الكهانة في وسط متوحّش يتخبط بأمراض نفسية وعقد تاريخية، فكل كلام عن الموعظة الحسنة، والرحمة المهداة، و«اذهبوا فأنتم الطلقاء»، يصبح مدعاة للسخرية، فلا صوت يعلو فوق صوت نبيّ الملحمة الضحوك القتّال، المبعوث بالسيف نقمة للعالمين، يا لسخرية حالنا.

من غزة إلى ليبيا، مروراً بسيناء، كانت الفاجعة تنقلنا إلى عالم حالك بالظلام. شيخ ضرير تجاوز عمره قرناً من الزمان، يرى فيه المستضعفون والمساكين وعامة الناس مصدراً للبركة الإنسانية بأذكاره وزهده وتحنانه عليهم في مآسيهم المتجددة، وهو يمدّهم بالصبر والعزيمة، وينفث في روعهم قبساً من الوعي في اعتزال الفتن التي يديرها الإسرائيلي والأميركي لتقسيم أوطاننا وأمتنا بغية إضاعة حقنا المغصوب في القدس.

كان فقه التوحش ينفث سمومه وأحقاده متجاوزاً كل الحدود، يتحرك في فلسطين وحولها، ولا يجد خطراً يحدق بأساساته ومروياته إلا عذابات من التاريخ تناقلها قلم مثقال السالمي، الشاب الوديع المفعم بحب بآل البيت، من دون أن يقوده هذا الحب لأيّ بغض في التاريخ أو الحاضر، إنما هي رؤية خارج مألوف سرب التمذهب، أصاب فيها أو أخطأ، فإذا بفقه التوحّش لا يرى ما يتصدّر أولوياته إلا بضعة أسطر صاغتها أنامل شيخ الإسلام تستذكر فعل السلف بحق غيلان والجهم والجعد، حينما جهروا بما رأوه من عقيدة في علم الكلام والحرّية القدرية، أصابوا فيها أو أخطأوا، ليتوّج قاتليهم باعتبارهم خير سلف قمعوا نصال البدعة.

أن يذبح السفاح خالد القسري، الجعد بن درهم كأضحية على عتبة منبر مسجد البصرة يوم العيد، صار معياراً لنقاء العقيدة السلفية، وأن يقطّع هشام بن عبد الملك أوصال غيلان الدمشقي لأنه يرفض أن يرد أفعال الظلم إلى الله، بل إلى

> **أزمتنا تكمن في صمت العلماء وجمهور المتدينين الطيبين إزاء عمليات الذبح اليومية باسم الدين**

شياطينها، اعتبره وعّاظ السلاطين سُنّة الخلفاء المهديين، وأن يقتل الحجاج الجهم بن صفوان لأنه طالب بالشورى ورفض استبداد عبد الملك، أفتى به شيخ التوحّش كعلامة صدق على صفاء العقيدة وصلاح الفقه.

صار القسام قريب العهد مجرد ذكرى وإن بقي المسمى، واستجلبت سُنّة القسري في ذبح الأضاحي البشرية قبل أكثر من ألف عام ونيّف لتكون النموذج، أمّا سيف علي في خيبر، فهو شبهة في العقيدة وخصوصاً إذا صقله حداد كسلمان الفارسي عبَرَ الحدود زحفاً نحو حياض خيبر المعاصرة.

ثلاث عمليات للقتل على الرأي المخالف للسلفية المعاصرة، فتحت جرح ثلاثة عبرت في عمق التاريخ، لم يجد فقه التوحّش تهمة الرفض والتشيّع ليلصقها بحق نادر العمراني، الأمين العام لهيئة علماء ليبيا، كما ألصقها منذ سنوات بحق الفقيه أحمد القيسي الحنفي، العراقي الذي تم تعذيبه حتى فقد عقله، ليتم إعدامه بتهمة الانتماء لـ(الحشد الرافضي) وهو المعارض السنّي المعروف للحكومة العراقية، فليبيا ليس فيها أيّ أثر شيعيّ، فتم دفنه بعد تطريز جسده بالرصاص بتهمة معاداة السلفية، ولربما معاداة السامية الجديدة.

وكذلك مولانا الشيخ الضرير سليمان أبو

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper